الفصل الثالث

الأصوات المتقاربة وعلاقتها بالمعرب والمهمل

(أ) الأصوات والمعرب :

هناك مصطلحان هامان يدخل علم الأصوات فى أحد جوانبها ألا وهما المعرب والدخيل ، ويفرق العلماء بينهما ، فأما المعرب فهو " الكلمات التى نقلت عن اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية سواء وقع فيها تغيير أم لم يقع وربما تناولته بالاشتقاق " [1] ، أما الدخيل فيراد به " ما دخل اللغة العربية من مفردات أجنبية سواء فى ذلك ما استعملته العرب الفصحاء فى جاهليتهم و إسلامهم ، وما استعمله من جاء بعدهم من المولدين ... والعامل الرئيس فى دخول هذه المفردات يرجع إلى ما أتيح للشعوب الناطقة بالعربية من قبل الإسلام ومن بعده من فرص الاحتكاك المادى والثقافى والسياسى بالشعوب الأخرى " [2] .

وبصفة عامة فإن " الدخيل كل كلمة دخلت لغة العرب واستعملها الناطقون بها وليست فى الأصل منها"[3] .

وما يهمنا هنا هو كيفية معرفة المعرب أو الدخيل حيث لم يترك العلماء هذه الكلمات تدخل اللغة دون وضع ضوابط ومعايير للحكم عليها ، فإن لغتنا مرتبطة بكتاب مقدس ، ومن ثم فمن الضرورى تمييز ما هو منها وما ليس منها هذه المعايير هى :

"**1-**أقوال أئمة اللغة الثقات .

2-المعيار الثقافى والتاريخى .

3-عدم وجود جذر عربى (الاشتقاق) .

4-مخالفة الأوزان العربية (الميزان الصرفى) .

5-اجتماع الحروف وتواليها (المعيار الصوتى) " [4] .

---

(1) عوامل تنمية اللغة العربية د.توفيق محمد شاهين 133.
(2) فقه اللغة د. على عبد الواحد وافى 193 .
(3) عوامل تنمية اللغة العربية 133 .
(4) انظر : التعريب فى القديم والحديث مع معاجم للألفاظ المعربة ، د. محمد حسن عبد العزيز 48-60 بتصرف ، وانظر أيضاً : عوامل تنمية اللغة العربية 147 .

ويهمنا هنا المعيار الصوتى "حيث وضع العلماء علامات يعرف بها المعرب فى العربية استنتجوها من مقارنة نسج الألفاظ العربية بنسج هذه الألفاظ المعربة والحديث الذى يخص موضوع اجتماع الحروف بهذا الشأن لا تخلو منه معظم كتب المعاصرين [1].

" ويمكنك معرفة الدخيل بائتلاف حروفه فقد يتكون من حرفين متنافرين لا يجتمعان فى كلام العرب ... وهذه الحروف نوعان :

النوع الأول : حروف لم تجتمع فى كلمة عربية ألبتة .

والنوع الثانى : حروف تجتمع فى كلام العرب غير أنها تلتزم ترتيباً خاصاً فى تأليفها ، ورودها فى كلمة بغير هذا الترتيب يدل على أنها فى كلمات دخيلة .

" فمن أمثلة النوع الأول :

1- الجيم والقاف نحو الجوق
2- الطاء والجيم نحو الطاجن
3- الصاد والجيم نحو الجصّ
4- الطاء والتاء مثل الطست
5- السين والذال نحو الساذج
6- الكاف والجيم مثل كندوج
7- الجيم والتاء نحو الجبت
8- الصاد والسين
9- الصاد والزاى
10- الصاد والطاء مثل الإصطفلينة
11- الباء والسين والتاء نحو البستان
12- الكاف والقاف .
13- السين والزاى .

" ومن أمثلة النوع الثانى :

1- مجىء النون قبل الراء مثل نرجس .
2- مجىء الزاى بعد الدال مثل المهندز .

([1]) انظر : فقه اللغة د. وافى 200 ، فى فقه اللغة الدكتور عبد العزيز علام ، و الدكتور عبد الله ربيع 157-159 ، دراسات فى فقه اللغة - د. صبحى الصالح 378 .

3- مجيء الشين بعد اللام .

4- مجيء الذال بعد الدال قليل ولذلك أبى البصريون أن يقولوا بغداذ بإهمال الأولى وإعجام الثانية.

5- ومن هذا القبيل أيضاً أن يكون الفاء والعين من جنس واحد " [1] .

أضف إلى ذلك " خلو الكلمة الرباعية والخماسية من حروف الذلاقة (فرمن لب) مثل عقجّش " [2] وهى قضية تناولناها من قبل .

والسؤال الآن : أين ابن دريد من كل هذا ؟

بالطبع لم يفت ابن دريد الحديث عن الكلمات الأعجمية المعربة وعلاماتها " "وما عربته العرب فصار كاللغة"[3] .

ولا نبالغ لو قلنا إن ابن دريد لم يفته جميع ما سبق مما استدل به العلماء على الدخيل أو المعرب فى اللغة العربية وليس من الناحية الصوتية فقط ، ولكن ما يهمنا هنا هــو الناحية الصوتية ، كـذلك ينبغـى أن نشير إلى نقطة أشرنا إليها من قبل ، وهى أن ابن دريد لم يدرس هذا الموضوع دراسة علمية منظمـة – بل إنه كان يلقى بالفكرة كلما جاءت مناسبة أو كلما عنّ له خاطر بباله .

ومن أمثلة النوع الأول عنده :

(1) كثر حديث ابن دريد عن اجتماع الجيم والقاف بصورة ملحوظة نذكر هذه المواضع تفصيلاً :

– " وقل ما يجيء فى كلام العرب كلمة فيها جيم وقاف إلا كلماتٌ سبعٌ أو ثمان " [4].

– " جعثق اسم وليس بثبت لأن الجيم والقاف لم يجتمعا فى كلمة إلا فى خمس كلمات أو ست " [5] .

– " الجيم والقاف لم يجتمعا فى كلمة عربية إلا بحاجز وهى قليلة مع ذاك ، وكذلك الكاف " [6] .

---

(1) المعرب للجو اليقى 22 - 24
(2) فصول فى فقه العربية د. رمضان عبد التواب 363 .
(3) الجمهرة :1322/3 .
(4) الاشتقاق 429 .
(5) الجمهرة 1130/2 .
(6) الجمهرة 44،473/1 .

- " ولم تجتمع الجيم والقاف فى كلمة عربية إلا بحاجز منها : جلوبق وهو اسم وجرندق وهو اسم أيضاً ، ورجل أجوق وهو غليظ العنق . والجَوْق الجماعة من الناس وأحسبه دخيلاً ، وأتان جلنفقة : سمينة وامرأة جبنشقة : نعت مكروه ، وامرأة جعفليق : كثيرة اللحم فأما الجوالق والجَوْ سق فمعربان . وجاءت كلمة القاف فيها قبل الجيم وهى القنجل وهو العبد زعموا ، فأما جلّق فموضع فى الشام معرّب والقاف والجيم متقاربتان ، واجتماعهما فى كلمة قليل ، وقد قالوا جلق رأسه وجلّق رأسه إذا حلقه .

" واختلف أهل اللغة فى المنجنيق ، فقال قوم : الميم زائدة وقال قوم : بل هى أصلية ، وأخبرنا أبو حاتم عن أبى عبيدة وأحسب أن أبا عثمان أيضاً أخبرنا به عن التوزى عن أبى عبيدة قال : سألت أعرابياً عن حروب كانت بينهم فقال : كانت بيننا حروب عون تفقأ فيها العيون ، مرة نجنق وأخرى نرشق فقوله : نجنق دال على أن الميم زائدة ولو كانت أصلية لقال : نمجنق ، على أن المنجنيق أعجمى معرب " [1] .

(2-3) الجيم والكاف ، والقاف والكاف : " ليس فى كلامهم قك ولا كق ... كذلك ليس فى كلامهم بك ولا كج"[2] .

(4) " الفاء والميم لا يجتمعان فى العربية إلا بحاجز بينهما أما فم فناقص " [3] .

*** ومن أمثلة النوع الثانى عند ابن دريد :**

1- النون بعدها راء : " وليس فى كلامهم نون بعد راء بغير حاجز فأما نرجس فأعجمى معرب "[4] كذلك " قوله :" والنرش : زعم بعض أهل اللغة أنه التناول باليد نرشه نرشاً ولا أعرف ذلك ، وليس فى كلامهم راء قبلها نون، ولا تلتفت إلى نرجس فإنه فارسى معرب " [5] .

---

(1) جمهرة اللغة 49/1.
(2) الجمهرة 44/1 .
(3) الجمهرة 488/1 .
(4) الجمهرة 127/1 .
(5) الجمهرة 735/2 .

(2-3) لام بعدها راء وكذلك دال بعدها تاء ففى إطار حديث ابن دريد عن البدء بالأقوى إذا اجتمع حرفان من جنس واحد يقول : " غير أن من شأنهم إذا أرادوا هذا أن يبدءوا بالأقوى من الحرفين ، ويؤخروا الألين كما قالوا (ورل ، وتد) فبدءوا بالتاء مع الدال وبالراء مع اللام " [1] .

كذلك قوله : " قوله تعالى : ﴿ جل ثناؤه كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ﴾ [2] ، لا يبينون اللام ويبدلونها راء " لأنه ليس فى كلامهم " لر " [3] .

(4) كذلك التتابعات الآتية الخاصة بأصوات الحلق :

" خ بعدها همزة - ح بعدها همزة - هـ بعدها همزة - هـ بعدها عين -عين بعدها خاء " وهذا يتضح من إقراره لقاعده البدء الأقوى من الصوتين المتقاربين فى الكلمات الآتية : (أخ - أحد - أهل - عهد - نخع) [4] .

(5) الترتيب الصوتى (ج ر م ن) : " قال أبو بكر : ليس فى كلام العرب (جيم راء ميم نون) إلا ما اشتق منه مثل (مرجان) ولم أسمع له بفعل متصرف وذكر بعض أهل اللغة أنه معرب وأخر به أن يكون كذلك " [5] .

*** ابن دريد بين القدماء والمعاصرين :**

أظهرت الإحصاءات الحديثة صدق ملاحظات ابن دريد فيما أتى به وخلاصة ملاحظاته هى عدم ورود التتابعات الآتية فى اللغة العربية : (جق / قج / جك / كج / قك / كق / فم / مف / ن ر / لر / د ت / خأ / هأ / حأ / هع / عح / جرمن) .

بدايةً نجد د. إبراهيم أنيس يحاول أن يستخلص ملاحظاته حول اتجاه اللغة العربية فى تركيب كلماتها كما يلى :

---

(1) الجمهرة 46/1 - 47 .
(2) المصطفين 14/83 .
(3) جمهرة اللغة 51/1 .
(4) الجمهرة 46/1 .
(5) الجمهرة 1137/3 .

- " ندرة تلاقى أصوات الحلق بعضها مع بعض بل لا يكاد يلتقى فيها إلا العين والهاء والعين تسبق دائماً مثل يعهد .

- " ندرة تلاقى الحروف قريبة المخرج أو الصفة بوجه عام ، فلا يكاد تتلاقى . (ل ، ر ، ن) ولا(الميم والفاء والباء) ولا(الزاى والسين والذال والثاء والشين) ولا أحرف الإطباق ولا حروف أقصى الحنك (القاف والكاف والجيم القاهرية) ولا أحرف وسط اللسان (الجيم المعطشة والشين) " [1] ، مع الأخذ فى الاعتبار أن الجيم والشين قد اجتمعتا فى أكثر من أصل .

ويقدم لنا د. عبد الصبور شاهين محاذير البنية العربية اعتماداً على نتائج دراسته الإحصائية لجذور معجم تاج العروس للزبيدى باستخدام الكمبيوتر مثبتاً أن " اللغة العربية قد تحاشت مجموعة من التتابعات الصوتية بحيث لم يرد منها أى مثال فى اللسان العربى ، لا فى صورة ثنائية ، ولا فى صورة ثلاثية ولا فيما هو أكثر من ذلك ... ومن أمثلة ذلك أن العربية لم يرد منها فى بناء الثلاثى :

1- همزة + همزة .

2- ت + ظ .

3- ث + ذ / ث + ز / ث + س / ث + ص / ث + ض / ث + ظ .

4- ح + خ / ح + ع / ح + غ / خ + هـ .

5- خ + ح / خ + غ / خ + هـ .

6- د + ت .

7- ذ + ت / ذ + ث / ذ + د / ذ + ز / ذ + ص / ذ + ض / ذ + ظ .

8- ز + ث / ز + س / ز + ش / ز + ص / ز + ض / ز + ظ .

9- س + ث / س + ز / س + ش / س + ص / س + ض / س + ظ .

10- ش + ض .

([1]) موسيقى الشعر د. إبراهيم أنيس 30

11- ص + ث / ص + س / ص + ش / ص + ض / ص + ظ .

12- ض + ش / ض + ص .

13- ط + ص / ط + ض / ط + ظ .

14- ظ + ت / ظ + ث / ظ + خ / ظ + د / ظ + ذ / ظ + ز / ظ + س / ظ + ص / ظ + ض / ظ + ع / ظ + ق / ظ + ك .

15- ع + همزة / ع + ح / ع + خ / ع + غ .

16- غ + همزة / غ + ح / غ + خ / غ + ع .

17- ق + ج / ق + ك .

18- ك + ق

19- م + ب .

20- هـ + ح / هـ + خ "[1] .

ومن الواضح أن هذه الدراسات صدّقت معظم ما جاء بـه ابـن دريـد وقـد يبـدو للمتأمـل فى محاذير د. عبد الصبور شاهين أن ابن دريد أشار إلى مجموعـة مـن التتابعـات الصـوتية لا توجـد فى تلـك المحاذير ، وهى (ج ك - ج ق - ج ء - خ ء - ف م - ك ج - ل ر - ن ر - هـ ء - هـ ع) وهـذا يـدلنا عـلى واحد من أمرين :

1- خطأ ابن دريد فى رفض هذه التتابعات .

2- تغيّر معيار الفصاحة فى عصر تاج العروس عن معيار المتقدمين .

ونحن نستبعد الاحتمال الأول ، بل يذهب إلى أنه من المحتمل أن يكون معيار الفصاحة قد تغيّر عند المتأخرين عما كانت عليه مقاييس الفصاحة فى القرون الأولى ويؤكد قولنـا هـذا مـا جـاء بـه بعـض الباحثين فى قولهم : " ولعلنا نجد فى المعجمات المطولة كلسان العرب وتاج العروس أشياء لا نجـدها فى

(1) فى التطور واللغوى د. عبد الصبور شاهين 130 - 131 .

" العين " ، وذلك لأن ابن منظور صاحب اللسان والزبيدى صاحب التاج وأمثالهما من المتأخرين قد سجلوا مواد لم تكن معروفة بفصاحتها فى عصر الخليل مثلاً أو عصر الجوهرى صاحب الصحاح المتوفى سنة 383 هـ ومعاصره ابن فارس المتوفى سنة 395 هـ وهذا يعنى أنّ معيار الفصاحة فى خلال القرون الثانى والثالث والرابع للهجرة غيره فى القرون المتأخرة " [1] .

ونجد من اللاحقين لابن دريد من قد أيّدت ملاحظاتهم ابن دريد حول عدم ورود تلك التتابعات فى اللغة العربية ، ودَلّت ملاحظاتهم حول حروف الحلق مثلاً ، أنها عندما تجاورت كان ذلك فى تلك المواضع التى أشار إليها ابن دريد من قبل وهى " ثلاثة مواضع : .

1- الهمزة المبدوء بها مع واحد من ثلاثة أحرف هى : (هـ – ح – خ) فى مثل (أهل – أحد – أخذ) .

2- الهاء مع العين وتقدمت العين فى كلمتين (عهد – عهر) .

3- الغين مع الخاء وتقدمت الخاء فى (نخع) "[2].

أيضاً هناك ملاحظات لهم حول تلك الحروف وحروف أقصى اللسان تؤكد صحة ما جاء به ابن دريد ، فيرى ابن منظور نفسه أن " الحروف التى يمتنع مجيئها فى تركيب وهى الحروف ذات المخرج الواحد ولا سيما حروف الحلق إلا أن يقدم حرف على الآخر ولا يجتمع إذا تأخر وهو العين والهاء فالعين إذا تقدمت جاء التركيب مقبولاً وإذا تأخرت لا تتركب ... " [3] .

وتأتى آراء ابن جنى أيضاً مساندة لابن دريد حيث ينقل عنه السيوطى قوله : " اعلم أن واضع اللغة لما أراد صوغها وترتيب أحوالها هجم بفكره على جميعها ورأى بعين تصوره وجوه جملها وتفاصيلها ، فعلم أنه لابد من رفض ما شنع تأليفه فيها نحو(هع) أو(قخ) و(كق) فنفاه عن نفسه ولم يخرجه بشىء من لفظه ... " [4].

---

(1) كتاب العين للخليل (بتحقيق مهدى المخزومى وإبراهيم السامرائى) 8-9 .
(2) أبنية العربية فى ضوء علم التشكيل الصوتى د.عبد الغفار حامد هلال 11 بتصرف .
(3) انظر : التنافر الصوتى والظواهر السياسية د. عبد الواحد حسن الشيخ 25 .
(4) المزهر للسيوطى 245/1 .

كذلك يرى ابن فارس أيضاً فيما لا يجوز تأليفه : " وذلك **كجيم** تؤلف مع **كاف** أو **كاف** تقدم على **جيم** ، و**كعين** مع **غين** ، أو **خاء** مع **هاء** أو **غين** فهذا وما أشبهه لا يأتلف " [1] .

ويقول ابن جنى فى الخصائص : " أما إهمال ما أهمل فأكثره متروك للاستثقال فمن ذلك ما رفض استعماله لتقارب حروفه نحو سص وطس وظث ، وثظ ، وشض ، وهذا حديث واضح لنفور الحس عنه والمشقة على النفس لتكلفه ، وكذلك نحو **قج وجق وكق وكج وجك** وكذلك **حروف الحلق** هى من الائتلاف أبعد لتقارب مخارجها عن معظم الحروف " [2] .

ومن ذلك يتضح احتمال أن المتأخرين قد قبلوا الكلمات المعربة أو الدخيلة بصورة كبيرة ، يدلنا على هذا وجود تتابعات لكلمات أعجمية معربة فى تلك الإحصاءات الحديثة ، ونعرض الآن لبعض التتابعات التى ناقشها ابن دريد من منظور المعاصرين :

- **جق/ قج** : " بالرجوع إلى إحصاءات جذور معجم لسان العرب والصحاح تبين أن الجيم لا تجىء بعدها القاف فى جذر ثلاثى أبداً ، وأن القاف كذلك لا تجىء بعدها الجيم ، وقد تجىء الجيم فى أول الجذر والقاف فى آخره وتتوسط بينهما حروف قليلة هى (ى ، ز ، س ، ق ، ك ، ن ، و) وقد تجىء القاف فى أول الجذر والجيم فى آخره فيتوسط بينهما (الباء والطاء والنون) وكل ذلك كلمات معربّه"[3] .

وبالنظر إلى رأى ابن دريد فى اجتماع الجيم والقاف نجد أنه مرة قال " ولم تجتمع الجيم والقاف فى كلمة عربية إلا فى خمس كلمات أو ست " ومرة استثنى وقال : " إلا بحاجز " .

وتأثر به الجواليقى (ت540 . هـ) فى المعرب فنقل الرأيين ، وعلّق د. ف . عبد الرحيم محقق الكتاب قائلاً : " قوله (إلا بحاجز) لا داعى لهذا القيد إذ الجيم والقاف لا تجتمعان فى كلمة عربية مطلقاً ... فمتى جاءتا فى كلمة فاعلم أنها معربة ... وقال الفيروزأبادى : لا تجتمع الجيم والقاف إلا معربة أو صوتاً هذا ولم يرد مثال واحد لا عربى ولا أعجمى جاءت فيه القاف بعد الجيم مباشرة ثم

---

(1) المزهر 1/ 240 .
(2) الخصائص 54/1 .
(3) التعريب فى القديم والحديث د. محمد حسن عبد العزيز 61 بتصرف .

بمقتضى هذا القيد الذى قيّد به قاعدته هنا فإن الكلمات التى ذكرها والتى تجتمع فيها الجيم والقاف بحاجز يجب أن تكون عربية لا معربة ! " [1] .

أما عن قول ابن دريد فى اجتماع الجيم والقاف فى ست كلمات أو أكثر فقد نقلها الجو النقى فى المعرب أيضاً [2] ، ويعلق محقق الكتاب أيضاً قائلاً : " ما معنى هذه العبارة ؟ هل معناها أن هذه الأحرف الستة وإن فصلت فيها الجيم من القاف بحاجز فإنها معربة ؟ لماذا خص الجوق بالنص على تعريبه إذن؟"[2] .

ونضيف أن ابن دريد قد وصف كلمة (الجَوْق) بأنها دخيلة ثم خص (الجوالق - الجو سق) بأنهما معربتان ، كذلك رأى أن تلك الكلمات عربية لوقوع القاف والجيم فيها بحاجز : (جلوبق - جرندق - جلنفقة - جبنشقة - جعفليق) ، فما الذى جعله يحكم بعربية تلك الكلمات مع أن الإحصاءات الحديثة - أثبتت عجمتها ؟! .

نرى أن ابن دريد لم ينس معيار الحروف الذلقية وهذه الكلمات تميزت عن سالفتها باجتماع حرفين على الأقل من أحرف الذلاقة فيها حتى ولو وجد فى الأخرى ما هو مقبول عنده (السين واللام) !! وقد ذكرنا من قبل أنه ليس شرطاً أن توجد حروف الذلاقة ففى الكلمة لنحكم بعروبتها .

ومن الملاحظات أيضاً التى تؤخذ على ابن دريد أنه ناقش عروبة كلمة " المنجنيق " من منظور اشتقاقى تصريفى وذلك كفيل بالحكم عليها بالعروبة ، ثم قرر بعد ذلك أنها أعجمية ! وهذا يوحى بالاضطراب فى علاج تلك الكلمة .

ولقد كان " من استدلالات اللغويين على عربية اللفظ أن يكون له جذر عربى بمعناه وهذا أقوى دليل استدل به القدماء " [3] .

---

(1) المعرب للجو النقى هامش صفحة 100 ، ص 229 .
(2) المعرب الجواليقى 230 .
(3) التعريب فى القديم والحديث د. محمد حسن عبد العزيز 51 .

ولما كانت الإحصاءات الحديثة قد أثبتت أعجمية الألفاظ ذات الجيم والقاف فإن كلمة المنجنيق على رأى ابن دريد أعجمية فعلاً " والمتوقع ألا تجرى الكلمة المقترضة فى كل الأحوال مجرى الكلمة – العربية الأصيلة من حيث التصريف والاشتقاق ، وما ينبنى عليه من اعتبار الأصلى والزائد"[1].

أما عن أصل كلمة (منجنيق) " فهى كما تؤكد المراجع الحديثة يونانية (magganik – on) دخلت إلى الآرامية (منجنيقا) ثم إلى العربية (منجنيق) "[2].

ولقد وقع ابن جنى فى نفس هذا الاضطراب عند ما نقل كلام ابن دريد بنصه[3] .

– التتابع ن ر : صدّقت الإحصاءات الحديثة ما ذكره ابن دريد دون أى جدال – حول التتابع (نر) بأنه غير موجود فى كلمة عربية و " بالرجوع إلى إحصاءات جذور اللسان والصحاح وإلى مداخل اللسان تبيّن أن النون جاءت بعدها الراء فى المداخل الثلاث الآتية فقط (نرب) وفيه النّيرب : الشر والنميمة ، ونَيْرَب الرجل سعى ونم ، و (نرج) وفيه النورج والنيرج معرب و(نرس) وفيه النرس ضرب من التمر وموضع ليس عربياً ، و (نرش) نرش الشىء نرشاً تناوله بيده حكاه ابن دريد قال : ولا أحقه (أى لا أثبته) . وأن النون جاءت بعدها الراء فى المداخل الرباعية الآتية : (نرجس– نرجل – نرسن – نرمق) وهى أسماء كلها معربة ومن هذا يتبين أن الملاحظة سليمة ولا يقدح فى سلامتها وجود جذرين أحدهما نادر الاستعمال والآخر انفرد بذكره ابن دريد ولم يقره " [4] .

ولم يكن المعيار الصوتى فحسب هو الوحيد فى مقاييس ابن دريد فى هذا المجال فقد اهتم اهتماماً مميزاً بالأوزان غير العربية ، ومن ثم تمييز الكلمات الأعجمية نذكر أمثلةً لذلك :

– " وليس فى كلام العرب اسمٌ على وزن فعاويل إلا سراويل وهو معرب " [5] .

---

(1) التعريب فى القديم والحديث 52 .
(2) التعريب فى القديم والحديث 52-53 .
(3) المنصف لابن جنى 147/1 .
(4) التعريب فى القديم والحديث 63، وانظر : الجمهرة 735/2 0
(5) جمهرة اللغة 66/1 .

- " الهاوون الذى يُدَق به عربى صحيح ولا يُقال هاوَن لأنه ليس فى كلام العرب اسم على فاعل بعد الألف واو " [1] ثم قال فى موضع آخر : " الهاوَن فارسى -معرب والعرب تسمية الهاوون إذا اضطروا إلى ذلك"[2].

- " قال أبو بكر وليس فى كلامهم فَعْيَل بفتح الفاء فأما ضَهْيَد فمصنوع وكذا يقول الخليل ومريم أعجمى"[3].

ويأتى ابن دريد بعدة أوزان عربية لكنها نادر جداً منها :

- " وليس فى كلامهم فُعْلُول موضع الفاء منه ميم إلا هذا الحرف : مُغْرود ومُغفور " [4] .

- " ليس فى كلامهم فِعْول إلا حرفان خرْوع وعِتود : موضع " [5] .

- " وليس فى كلامهم أفعل فهو مُفْعَل إلا ثلاثة : أسهب فهوٌ مسْهب ، ألفج فهو مُلفج إذا قل ماله ، أحصن فهو مُحْصن " [6] .

- " ليس فى كلامهم كلمة أولها ياء مكسورة إلا يسار " [7] .

- " ليس فى كلامهم فَعْيلَ ولا فُعْوِل ، ولا فَوْعل ولا فُعْوَل " [8].

ويتضح مما سبق أن العرب تغيّر بناء الكلمات غير العربية فى بعض الأحيان لتناسب الأوزان العربية مثل " الهاوون " " إلا أن كثيراً من الكلمات لم يكن من الممكن إخضاعها للأوزان العربية فتركوها على حالها " [9] .

---

(1) الجمهرة 996/2 .
(2) الجمهرة 1325/3 .
(3) الجمهرة 1173/2 ، 954/2 .
(4) الجمهرة 86/1 .
(5) الجمهرة 316/1 .
(6) الجمهرة 24/1 .
(7) الجمهرة 25/2 .
(8) الجمهرة 169/2 .
(9) المعرب للجو النقى 24 - 25 .

وبسبب ذلك اكتشف المعاصرون معياراً صوتياً جديداً يساند المعيار الصرفى القديم ، ويكشف أعجمية مجموعة من الكلمات ، هذا المعيار نتج عن الدراسة المعاصرة للمقاطع الصوتية ، فإذا كان القدماء قد حددوا لنا مجموعة من الأوزان نعرف بها أن الكلمة غير عربية ، فإن المعاصرين حّددوا لنا مجموعة من المقاطع نعرف بها ذلك أيضاً .

يقول د. إبراهيم نجا فى ذلك : " من الوقوف على نسج الكلمات العربية وفق تلك الصورة يتيسر للناظر بأدنى تأمل أن يضيف فائدة جليلة للمقاطع وهى تمييز الكلمات العربية من غير العربية ، فإذا وجدنا كلمة مكونة من مقطع من النوع الثالث وهو المركب من : (صوت صامت + صوت لين قصير + صوت صامت) + مقطعان من النوع الثانى ، (وهو المركب من صوت صامت + صوت لين طويل) عرف أن هذا غير عربى مثل (مهراجا وسرناجا) وكذلك الكلمات المكونة من هذا اللون : مقطع من النوع الثانى + مقطعان من النوع الثالث يكون نسجاً غير عربى وتلك ميزة تحتاج إلى الدقة وتضاف إلى مميزات الكلام العربى " [1] .

وبالرغم من هذا فإننا نرى تميز القدماء – ومنهم ابن دريد – فى تحديد مجموعة لا بأس بها من الأوزان التى تميز لنا الكلمات الأعجمية ، وذلك أنهم عرفوا الأوزان العربية أولاً وما شذ عنها لقى خللاً فى آذانهم ، ومن ثم عرفوا الشذوذ بسهولة ، لكن أن نأتى ببعض كلمات : نعلم مسبقاً أنها أعجمية ثم نرسم عن طريقها مقياساً جديداً فهذا شىء متكلف .

***

(ب) الأصوات والمهمل :

يعرف المهمل بأنه " وصف لكل ما تعطل عن العمل لعلة ما ... والمهمل كذلك وصف للفظ غير المستعمل وذلك كلفظ " ديز " مقلوب زيد " [2] .

ولقد عرض ابن دريد الأزدى فى جمهرته كثيراً من الجذور المهملة والتى سماها " مماتة " ولم يشر إلى السر فى إهمالها أو إماتتها إلا فى حالة واحدة فقط ربط فيها ابن دريد علاقة إماتة جذر من الجذور

(1) التجويد والأصوات د. إبراهيم محمد نجا 30-31 ، وفى المرجع لفظ (ساكن) وقد درجنا على تسميته بالصامت ، وانظر أيضاً : دراسة الصوت اللغوى د. أحمد مختار عمر 238 ، دراسات فى أصوات اللغة العربية د. يحيى محمود على الجندى 23 .

(2) معجم المصطلحات الصرفية والنحوية د. محمد سمير نجيب اللبدى 236 .

بالعلة الصوتية مما يدلنا على أن هناك علاقة بين المهمل والأصوات لكننا لا نجد فى كل ما أتى به ابن دريد من جذور مماتة علة صوتية مما يدل على أن القضية أكبر من العلة الصوتية .

ومن إشارات ابن دريد المتعددة للمهمل فى صورة أفعال مماتة ما يلى :(الجعن – العهج – الدخش – العدر – الرّدك – الدلس – الدفص – الصدل – المحن – الضّدْن – العلد – القدل – الوده – الزّغر – العهم – الهمغ – الفلم) [1] .

وهذا على سبيل المثال لا الحصر وهو كثير فى الجمهرة ، والحالة الوحيدة التى ربط فيها ابن دريد بين إماتة جذر والعلة الصوتية هى قوله : " العهق : أميت فعله لمجاورة الهاء العين ، فقالوا : بعير عَوْهق : طويل ففصلوا بينهما بالواو " وهذا لأن العين والهاء حلقيان عند ابن دريد .

والجدير بالذكر أن ابن دريد قد أشار إلى مجموعة من التتابعات الصوتية المرفوضة – كما أشرنا سابقاً – وهذا النوع من المهمل يدخل فى إطار ما لا يجوز ائتلاف حروفه فى كلام العرب ، لأننا سوف نجد ابن دريد قد أدرك نوعين آخرين المهمل .

فبعض الجذور السابقة أهملت عند ابن دريد فى إطار ما يمكن النطق به مع الاستثقال فرفض لذلك مثل " العهق " .

تبقى حالة ثالثة أن معظم الجذور السابقة لم يستعمل لا لثقله وإنما لعلة أخرى لم يوضحها لنا ابن دريد هذه الجذور مثل (الجعن – العدر – الدلس – المحن – العلد – القدل – الزغر – الفلم ..... إلخ) وهى كما نرى سهلة النطق ، بها ما استخف واستحسن من الأصوات وبالرغم من ذلك أهملت .

هذه التقسيمات لحالات المهمل لم يذكرها ابن دريد صراحة وإنما ذكر ما يدل على إدراكه لها ، وذلك عهده فى معظم القضايا الصوتية فى هذا الباب .

([1]) انظر جمهرة اللغة 485/1 - 486 - 578 ، 632/2 - 637 - 647 - 655 - 656 - 672 - 651 - 663 - 675 - 689 - 705 - 954 - 963 - 970 .

تلك التقسيمات درسها دراسة أكثر تنظيماً ابن حنى ، حيث نجد له أحاديث كثيرة[1] فى كتبه عن المهمل قسم فيها الأصول التى لم تستعمل على ثلاثة أنواع :

1- ما لا يمكن النطق به أصلاً .

2- ما يمكن النطق به مع الاستثقال فرفض لذلك .

3- ما يمكـــن النطق به إلا أنه لم يستعمل لا لثقله لكن لغير ذلك من التعويض عنـه ، أو لأن الصـنعة أدّت إلى رفضه .

وواضح أن العلة جليّة فى النوعين الأوّلين ، ويوضح لنا ابن جنى أسباباً للنـوع الثالـث تتعلـق برغبة العرب فى إهمال بعض أصول الثلاثى حملاً على الرباعى والخماسى كذلك مـا يتعلـق بالاسـتعمال المحدود للغة من الاختيارات المطروحة المحدودة ، مما يفى لقضاء حاجات مستعمليها من التواصل .

فيقول ابن جنى : " كانت الأصول ومواد الكلم معرضة لهم وعارضـةً أنفسـها عـلى تخـيّرهم ، فجرت عندهم مالاً ملقى بين يدى صاحبه وقد أجمع إنفاق بعضه دون بعضه ، فميز رديئه وزائفـه فنفـاه البتة كما نفوا عنهم تركيب ما قبح تأليفه ، ثم ضرب بيده إلى ما أطف له من عرض جيده فتناوله للحاجة إليه وترك البعض لأنه لم يرد استيعاب جميع ما بين يديه منه لما قدمنا ذكره ، وهو يرى أنه لـــو أخـــذ مـا تـــرك مكان أخذ ما أخذ لأغنى عن صاحبه ، ولأدى فى الحاجة إليه تأديته ، ألا ترى أنهم لو استعملوا (لجع) مكان (نجع) لقام مقامه وأغنى مغناه ؟![2] .

ثم يأتى ابن فارس ويقسم المهمل على أضرب ثلاثة مضمناً كلامه بعتاب على اللغويين – أمثال ابن دريد – أنهم لم يذكروا المهمل فى أقسام محددة فى حين ذكروه فى سياق الكلام ، فيقول فـيما نقـل عنـه السيوطى : " المهمل على ضربين : ضربٌ لا يجوز ائتلاف حروفه فى كـلام العـرب ألبتـة وذلـك كجـيم تؤلف مع كاف ، أو كاف تقدّم على جيم ، وكعين مع غين ، أو حاء مع هاء أو غين ، فهذا ومـا أشـبهه لا

(1) انظر مثلاً الخصائص : 1/54-55 ، 61، 65، 261-264 .
(2) الخصائص 1/65 .

يأتلف ، والضرب الآخر ما يجوز تألّف حروفه لكن العرب لم تقل عليه ، وذلك كإرادة مريد أن يقـول : عضخ فهذا يجوز تألفه وليس بالنافر ، ألا تراهم قد قالوا فى الأحرف الثلاثة خضع ، لكن العرب لم تقـل عضخ فهذان ضربان للمهمل.

" وله ضرب ثالث : وهو أن يريد مريد أن يتكلم بكلمة على خمسة أحرف ليس فيها من حروف الذلق أو إلا طباق حرف [!!] وأى هذه الثلاثة كان فإنه لا يجوز أن يسمى كلام وأهل اللغـة لم يـذكروا المهمل فى أقسام الكلام ، وإنما ذكروه فى الأبنية المهملة التى لم تقل عليها العرب " [1] .

وابن فارس يؤخذ عليه أنه جعل الضرب الثالث خاصاً بحروف الذلاقة وكان مـن الممكـن أن تندرج تحت الضرب الأول ، كذلك وضع أحرف الإطباق جنباً إلى جنـب مـع أحـرف الذلاقـة ، وهـى مستبعدة من هذا الضرب .

ولم يدرك ابن سنان الخفاجى المهمل لغير علة صوتية ، ورأى أن كل ما أهمل فى اللغة يرجـع إلى علة صوتية حيث " قال فى سر الفصاحة : إن الواضع لها [للغة] إن كانت مواضعة تجنب فى الأكثر كـل ما يثقل على الناطق تكلفه والتلفظ به كالجمع بين الحروف المتقاربة فى ، المخارج وما أشبه ذلك ، واعتمد مثل هذا فى الحركات أيضاً فلم يأت إلا بالسهل الممكن ، دون الـوعر المتعـب ، ومتـى تأملـت الألفـاظ المهملة لم تجد العلة فى إهمالها إلا هذا المعنى ولـيس غيرهـا مـن اللغـات كـذلك كلغـة الأرمـن والـزنج وغيرهم " [2] .

***

(1) المزهر 240/1 .
(2) انظر مقدمة سر الصناعة 17 .

بين ابن دريد والمعاصرين :

ذكرنا من قبل أن ما أهمل بسبب العلة الصوتية لا خلاف عليه بين القدماء والمعاصرين ، ولقد تعرض المعاصرون لقضية المهمل من الأبنية الجائزة التركيب فى اللغة ، وربطوا بين ما هو ممكن وبين ما هو مستخدم بالفعل واستعانوا فى ذلك بالعمليات الحسابية والمنطق العقلى .

فالمتأمل فى لغات البشر يجد " فى كل لغة من لغات الأرض عدداً محدوداً من الأصوات مختارة من بين عدد يكاد يكون غير محدود مما يمكن لأجهزة النطق عند الإنسان أن تصدره ... كما أن باستطاعة المجتمع الذى يتكلم لغة معينة أن يركب من ذلك العدد المحدود من الأصوات المميزة أعداداً ضخمة للغاية من المفردات أو الكلمات .

" لو فرضنا أن عندنا (20) صوتاً صامتاً فى لغة ما و (10) أصوات صائتة ، ونريد أن نركب من هذه الأصوات كلمات ثلاثية أى ذات ثلاثة أصوات فقط ، اثنان منها صوتان صامتان والثالث صوت صائت ، على أن يكون ترتيب تلك الأصوات الثلاثة فى الكلمات على أى نظام ، فإن عدد الكلمات الثلاثية التى يمكن أن نركبها من ذلك العدد المحدود من الأصوات يبلغ 11400 كلمة ، ويمكننا بعد ذلك أن نتصور تلك الأعداد من الكلمات الرباعية أو الخماسية أو السداسية التى يمكن تركيبها من ذلك العدد المحدود جداً من الأصوات " [1] .

وبالنظر إلى واقع لغتنا العربية نجد أنها تتكون من 28 صوتاً ، وتؤكد الدراسات ضآلة القدر المستخدم بالفعل من وسط اللغة بالقياس إلى الاحتمالات الممكنة رياضياً " فعدد الأصول الثنائية التى يمكن استخراجها من تأليف الأصوات العربية هو فى الواقع (28) أى : (784) صورة " [2].

فى حين نجد " الجوهرى قد أورد منها فى معجمه واحداً وعشرين جذراً ..... وأما عدد الجذور الرباعية فهو (592704) على حين أن ما أورده الجوهرى هو 766 جذراً أى أن نسبة الموجود

---

(1) أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة د. نايف خرما 263 .

(2) فى التطور اللغوى د. عبد الصبور شاهين 129 . ويرى د. محمد فتيح أن عدد الجذور الثنائية المسموح بها رياضياً هو 28 × 29 أى 812 جذراً ثنائياً، انظر : مبادئ علم الأصوات العام 244 .

إلى المسموح به رياضياً هو (1-3) فى الألف " [1] .

أما عن البنية الثلاثية " فهى بنية مرنة تبلغ معادلتها (28)³أى (21952) صورة ثلاثية ممكنة وقد بلغ عدد الجذور الثلاثية المستخدمة فعلاً فى اللغة العربية (7597) جذراً أى حوالى ثلث الممكن رياضياً " [2] .

ومن هنا فإن العربى قد أهمل أبنية كثيرة جداً تحتملها القوانين الصوتية ، وارتبط ذلك بالحاجة فقط ، والخلاصة فى تلك الإحصاءات أن العربى قد " استعمل بعض الألفاظ للحاجة إليها وإلا فإن تركيب الكلمات من الحروف يبلغ بالتحليل الرياضى ما يجاوز اثنى عشر (مليوناً) من الكلمات ... والمستعمل من الألفاظ يجاوز ثمانين ألف مادة على ما جاء فى لسان العرب " [3] .

ويسمى المعاصرون إهمال تتابعات صوتية ممكنة من الناحية الفونولوجية (بالفجوات العرضية) ، ويصفون التتابعات الصوتية غير الممكنة فونولوجياً بأنها " مرفوضة تركيبياً " [4] .

وبالنظر إلى ما ذكره ابن جنى من قبل حول إهمال العرب لبعض الأصول الجائزة صوتياً مثل (لجع) حملاً على الرباعى والخماسى اللذين يهمل الكثير من أصولهما ، لذلك لابد ألا يخلو البناء الثلاثى من ضرب من الإهمال بالإضافة إلى ما ذكره من عدم الحاجة إليه ، يرى د. محمد فتيح أن ابن جنى بذلك " قد فطن إلى ما يسمى بالفجوات العرضية وإن عبر عنها بطريقة غير علمية ... والصواب أن يقال : - لم يترك التتابع الصوتى الذى تعبر عنه (لجع) لتناقضه مع قواعد التركيب الفونولوجى لكلمات اللغة العربية ، فقد شغلت اللام الموقع الخالى فى السياقات الصوتية وذلك فى : لجأ ولجب ولجذ ولجم ولجن ، وإنما لأنه لم يعط عن طريق الصدفة معنى ولا وظيفة نحوية " [5].

---

(1) مبادئ علم الأصوات العام ديفيد أبركر ومنى ترجمة وتعليق د. محمد فتيح 244 .
(2) فى التطور اللغوى د . عبد الصبور شاهين 132 .
(3) دراسات فى فقه اللغة د. صبحى الصالح 181 .
(4) انظر : مبادئ علم الأصوات العام 242 .
(5) مبادئ علم الأصوات العام 243 - 244 .

والسر فى تلك القضية أن اللغة يجب أن تتصف بالمحدودية عند مستعمليها حتى يتسنى لهم استخدامها واستيعابها والسيطرة على أزمتها المختلفة .

وصفة (المحدودية) تلك التى اختارها الناطقون باللغة لتكون من سماتها العامة لم تبدأ بالبنية فحسب بل بدأت من المكون الأساسى لها " الأصوات " ، فبالرغم من أن إمكانات الجهاز النطقى الإنسانى غير محدودة فى إصدار عدد غير محدود من الأصوات إلا أن اللغة آثرت مجموعة محدّدة من رموزها الصوتية بهدف أن يكون نظامها الصوتى فعّالاً عند مستخدميها .

كذلك لمّا كان بإمكان تلك المجموعة المحدودة من الرموز الصوتية تكوين عدد ضخم من الأبنية المحتملة والممكنة اختارت اللغة مجموعة محدودة للهدف نفسه .